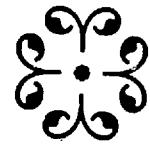

# إبراهيم
## عليه السلام

إن الله ـ عز وجل ـ لا يتخلى عن أنبيائه.

بل يؤيدهم دائمًا بالمعجزات الباهرات؛

حتى يستطيعوا ملاقاة أعداء الله بالحجج والبراهين الساطعة.

وقد أيد الله ـ عز وجل ـ نبيه وخليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ

بمعجزة عظيمة سَتَظَلُّ باقية راسخة إلى يوم القيامة،

شاهدة على عظمة الله تعالى وقدرته فى

تأييد أنبيائه أمام الجبابرة طواغيت البشر.

وها هى ذى قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وفى ختامها سنرى المعجزات العظيمة التى أجراها الله تعالى تأييدًا له، ودليلاً على صِدْق دعواه.

هو إبراهيم بن تَارِخَ ـ ويغلب عليه اسم آزَر ـ بن نَاحُور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[1].

وحكى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة إبراهيم الخليل من تاريخه عن إسحاق بن بشر الكاهلى صاحب (كتاب المبتدأ): أن اسم أم إبراهيم «أميلة»، ثم أورد عنه فى خبر ولادتها له حكاية طويلة، وقال الكلبى: اسمها «بونا» بنت كربنا بن كرثى من بنى أرفخشذ بن سام بن نوح.

وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال: كان إبراهيم عليه السلام يُكْنَى أبا الضيفان[2] قالوا: ولما كان عُمر تارخ خمسًا وسبعين سنة وُلِدَ له إبراهيم عليه السلام، وناحور، وهاران، وولد لهاران لوط عليه السلام.

وروى الحافظ ابن عساكر ـ بعد ما روى من طريق هشام بن عمار ـ عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول، عن ابن

(١) قصص الأنبياء، ص ١١٧.

(٢) ابن عساكر فى تاريخه (٢/ ١٤١) التهذيب.

عباس قال: وُلِدَ إبراهيم بغوطة دمشق فى قرية يقال لها «برزة» فى جبل يقال له «قاسيون»، ثم قال: والصحيح أنه وُلد ببابل، وإنما نُسِبَ إليه هذا المقام لأنه صلى فيه، إذ جاء مُعِينًا للوط عليه السلام.

قالوا: فتزوج إبراهيم سَارة، وناحور مَلْكَا ابنة هاران، يعنون: بابنة أخيه. وقد كانت سارة عاقرًا لا تلد.

وانطلق «تارخ» بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين فنزلوا حَرَّان، فمات فيها تارخ، وله مائتان وخمسون سنة، وهذا يدل على أنه لم يُولد بحران، وإنما كان مولده بأرض الكلدانيين، وهى أرض «بابل» وما وَالاَها، ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهى بلاد بيت المقدس، فأقاموا بحرَّان، وهى أرض الكلدانيين فى ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضًا، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالى، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال.

ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل بكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين.

وهكذا كان أهل حَرَّان يعبدون الكواكب والأصنام، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارًا، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام.

وكان الخليل ـ عليه السلام ـ هو الذى أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ آتاه رُشده فى صغره، وابتعثه رسولا، واتخذه خليلا فى كبره، يقول الله عز وجل: ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[1].

ويقول الله ـ عز وجل ـ فى كتابه حاكيًا قصة إبراهيم الخليل مع قومه فى سورة العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى الأَرْضِ وَلا فِى السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

(١) الأنبياء: ٥١.

فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1].

وكان أول دعوته لأبيه ـ وكان أبوه ممن يعبد الأصنام ـ لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[2].

(١) العنكبوت: ١٦ ـ ٢٧.

(٢) مريم: ٤١ ـ ٤٨.

ذكر الله ـ عز وجل ـ ما كان بين سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، وبَيَّنَ له بطلان عبادته، لأنه يعبد أوثانًا لا تسمع دعاء ولا تبصر مكانًا، إنها لا تُغنى عنه، ولا تنفعه، ولا تضره، ثم قال له منبهًا على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع برغم أنه أصغر سنًّا من أبيه: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ أى: طريقًا مستقيمًا، واضحًا، سهلاً، حنيفًا، مُنْجيًا مِنَ الضلال، يفضى بك إلى الخير فى دنياك وأخراك.

فلما عرض هذا الرشد عليه، وأَهْدَى هذه النصيحة إليه، لم يقبلها منه، ولا أخذها عنه، بل تهدده وتوعده، قال: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾ قيل: بالمقال، وقيل: بالفعال (واهجرنى مليًّا) أى: واقطعنى وأَطِلْ هجرانى[1].

حينئذ قال له إبراهيم: سَلامٌ عليك، أى: لا يصل إليك منى مكروه، ولا ينالك منى أذًى، بل أنت سالم من ناحيتى.. وزاده خيرًا فقال: ﴿ **سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾[2].

(١) قصص الأنبياء: (١/ ١٩٩).

(٢) حَفِيًا: برًا لطيفًا، أو رحيمًا مُكْرِمًا.

قال ابن عباس وغيره: حفيًّا، أى: لطيفًا، يعنى فى أن هدانى لعبادته والإخلاص له، ولهذا قال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّى عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾.

وقد استغفر له إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما وعده فى أدعيته، فلما تبين له أنه عَدُوٌّ لله تبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[1]. أى: لكثير التَّأَوُّهِ خَوْفًا وشَفَقًا.

وروى البخارى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «يلقى إبراهيم أباه آزرَ يوم القيامة وعلى وَجْه آزرَ قَتَرَةٌ وغَيَرَة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تَعْصِينى؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رَبِّ إنكَ وعدتنى أن لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وأىُّ خِزْى أَخْزَى من أبى الأبعد؟ فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: إنى حرمتُ الجنة علَى الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ؟ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار» هكذا رواه فى قصة إبراهيم منفردا[2].

ويقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ

(١) التوبة: ١١٤.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه.

﴿لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾[1].

يخبرنا الله ـ عز وجل ـ أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد أنكر على قومه عبادة الأوثان وحَقَّرَهَا، فأجابوا بأنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، فما كان حجتهم إلاَّ تقليد الآباء والأجداد.

وبين لهم أن هذه الأصنام لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، وهذا برهان ساطع على بطلان إلهية ما ادعوه من عبادة الأصنام، وهو قد تبرأ منها ونبذها، فلو كانت تضر لضرته.. وأخذ يضرب لهم الأمثال ويسوق إليهم البراهين، ويقيم عليهم الحُجَجَ برهانًا على صِدْقِ قوله.

وقالوا له: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ أى: أهذا الكلام الذى تقوله لنا وتنتقص به آلهتنا، أتقوله حَقًّا جادًّا فيه أم أنت لاعبٌ بنا؟

(١) الصافات: ٨٣ ـ ٩٨.

فأجابهم بقوله: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1] أى: إن إلهكم هو الله الذى لا إلـه غيره، خالق السمـوات والأرض، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وأراد إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يوضح لهم بالحجة الساطعة والبرهان الواضح أنها أصنام لا تضر ولا تنفع، فقال فى نفسه: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[2] وكان لهم عيد يذهبون إليه فى كل عام مَرَّةً إلى ظاهر البلد، فدعاه أبوه ليحضره، فقال: إنى سقيم ـ يعنى: مريض ـ كما قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾[3]. وعَرَّضَ لهم فى الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونُصْرَة دين الله الحق، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام.

فلما خرجوا إلى عيدهم ذهب إلى الأصنام مسرعًا، فوجدها فى بَهْوٍ عظيم، وقد وضعوا بين أيديها أنواعًا من الأطعمة قربانًا إليها، فقال إبراهيم للأصنام ـ على سبيل الاستهزاء والسخرية ـ: أَلاَ تأكلون؟ ما لكم لا تنطقون؟ فكسَّرها بِقَدُوم فى يده، وحطمها جميعًا

(١) الأنبياء: ٥٦.

(٢) الأنبياء: ٥٧.

(٣) الصافات: ٨٨، ٨٩.

إلاَّ صنمًا كبيرًا لهم، حيث وضع القدوم فى يد هذا الصنم الكبير، إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حَلَّ بآلهتهم، ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[1]، وهذا فيه دليل ظاهر على جهلهم، وقلة عقلهم، وكثرة ضلالهم، وخبالهم.

فأجابَ نَفَرٌ منهم، قالوا: سمعنا فَتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم، يذكرها بالعيب دائمًا، وكثيرا ما سَخِرَ منها وسَبَّهَا ولَعَنَهَا، ودعانا إلى الانصراف عنها، فهو الذى كسرها وحطمها.

وهنا أجمعوا أمرهم أن يأتوا به أمام الناس جميعًا، لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه، ويعاينون ما يحل به من القصاص.

وكان هذا أكبر مقاصد الخليل ـ عليه السلام ـ أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عُباد الأصنام الحجة على بُطلان ما هم فيه.

فلما اجتمعوا وجاءوا به ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[2]؟

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[3].

---

(١) الأنبياء: ٦٢.

(٢) الأنبياء: ٦٢.

(٣) الأنبياء: ٦٣.

قيل معناه: هو الحامل لى على تكسيرهم، وإنما عرض لهم فى القول ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾.

وَإِذًا فقد أراد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بقوله هذا أن يبادروا هم بالقول بأنها لا تنطق، فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات.

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]. أى: فعادوا على أنفسهم بالملامة، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون، أى: فى عبادتها.

قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء، أى: فأطرقوا ثم قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾[2] فكيف تأمرنا بسؤالها؟.

عند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟[3].

كما قال: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾[4] قال مجاهد: يسرعون. ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾[5] أى: كيف تعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها من

(١) الأنبياء: ٦٤.
(٢) الأنبياء: ٦٥.
(٣) الأنبياء: ٦٦، ٦٧.
(٤) الصافات: ٩٤.
(٥) الصافات: ٩٥.

الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون، والله خلقكم وما تعملون. ومقتضى الكلام: أنكم مخلوقون، وهذه الأصنام مخلوقة، فكيف يتعبد مخلوق لمخلوق مثله؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم، وهذا باطل، فالآخر للتحكم، إذ ليست العبادة تصلح ولا تجب إلا للخالق العظيم وحده لا شريك له[1].

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾[2].

وعدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغُلبوا ـ وحين لم تبق لهم حجة ولا شبهة ـ إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3].

## معجزة باهرة

حينئذ شرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له، حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عُوفِيَتْ لتحملنَّ حطبًا لحريق إبراهيم، ثم عمدوا إلى حُفرة عميقة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار، فاضطربت

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ١٢٤، ١٢٥.
(٢) الصافات: ٩٧، ٩٨.
(٣) الأنبياء: ٦٨، ٦٩.

وتأججت والتهبت، وعلاها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقُال له «هزن»، وكان أول من صنع المجانيق، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك[1].

فلما وُضِعَ الخليل ـ عليه السلام ـ فى كِفَّة المنجنيق مقيداً مكتوفًا ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. كما روى البخارى عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أُلقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾[2].

وعن أبى هريرة قال: قال ﷺ: «**لما أُلقِىَ إبراهيمُ فى النار قال: اللهم إنك فى السماء واحد، وأنا فى الأرض واحد أعبدك**»[3].

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له فى الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أمَّا إليكَ فلا.

---

(١) رواه ابن عساكر فى تاريخه (٢/ ١٤٧ تهذيب).

(٢) آل عمران: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) رواه ابن عساكر فى تاريخه (٢/ ١٤٧ تهذيب).

ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال: جعل ملك المطر يقول: مَتَى أُومَرَ فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾.

قال على بن أبى طالب: أى: لا تَضُرِّيه. وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿ **وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ لآذى إبراهيمَ بَرْدُهَا.

وهكذا نرى أن الله ـ عز وجل ـ أَوْقَفَ خاصية النار، فمن المعروف أن النار تحرق كل شئ ولا تُبقى على شئ، ولكن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بعظمته وقُدرته أوقف خاصية النار.

قال كَعْبُ الأَحْبَار: لم ينتفع أهل الأرض يؤمئذٍ بنار، ولم يُحْرَقْ منه سوى وثاقه.

وقال الضحاك: يُرْوَى أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان معه يمسح العرق عن وجهه، لم يصبه منها شئ غيره.

وقال السُّدِّىُّ: كان معه أيضًا مَلَك الظل، وصار إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحوله النار كأنه فى روضة خضراء، والناس ينظرون إليه، لا يقدرون على الوصول إليه، ولا هو يخرج إليهم. فعن أبى هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم، إذْ قال لما رأى وَلَدَهُ على تلك الحال: نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ يا إبراهيم.

وروى ابن عساكر عن عكرمة أن أُمَّ إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته: يا بنى إنى أريد أن أجئ إليك فادع الله أن ينجينى من حر النار حولك. فقال: نعم، فأقبلت إليه لا يمسها شئ من حر النار، فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت. وعن المِنْهَال بن عمرو أنه قال: أُخبرت أن إبراهيم مكَثَ هناك إمَّا أربعين وإمَّا خمسين يومًا، وأنه قال: ما كنتُ أيامًا ولياليَ أطيبَ عيشًا إذْ كنتُ فيها، ووددتُ أن عيشى وحياتى كلها مثل إذْ كنتُ فيها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فأرادوا أن ينتصروا فَخُذِلُوا، وأرادوا أن يرتفعوا فَاتَّضَعُوا، وأرادوا أن يغلبوا فَغُلِبُوا. قال الله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾[1].

## معجزة أخرى

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وهذه معجزة أخرى باهرة أجراها الله تعالى لسيدنا إبراهيم كى

(١) الصافات: ٩٨.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

يطمئن قلبه، فهو مؤمن قوى الإيمان وخليل الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن أراد أن يترقى من عِلْمِ اليقين إلى عَيْنِ اليقين.

ذكر الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أن لسؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام أسبابًا، منها: أنه قال لِنَمْرُودَ: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾(١). فَأَحَبَّ عليه السلام أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين، وأن يَرَى ذلك مشاهدةً، فقال: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾(٢).

والحاصل أن الله ـ عز وجل ـ أَجَابَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ما سَأَلَ، فأمره أن يعمد إلى أربعة من الطيور، واختلفوا فى تعيينها على أقوال، والمقصود حاصل على كل تقدير، فأمره الله تعالى أن يمزق لحومهن وريشهن، ويخلط ذلك بعضه ببعض، ثم يقسمه قسمًا، ويجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا ففعل ما أُمِرَ به، ثم أُمر أن يدعوهن بإذن ربهن، فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه، وكل ريشة تأتى إلى أختها، حتى اجتمع لكل طائر ما كان عليه، وجاءت إليه الطيور الأربعة حَيَّةً صحيحة، وهو ينظر إلى قدرة الله العزيز الحكيم الذى يقول للشئ كن فيكون، وَأَتَيْنَه سعيًا ليكون أبين له وأوضح لمشاهدته من أن يَأْتِينَ طيرانًا.

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) من الآية (٢٦٠) البقرة.

ويقال: إنه أمر أن يأخذ رءوسهن فى يده، فجعل كل طائر يأتى فيلقى رأسه فتركب على جثته كما كان. فسبحان الله العظيم ولا إلـه إلا الله.

ولقد كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ يعلم قُدرة الله تعالى على إحياء الموتى علمًا يقينًا لا يحتمل الشك، ولكن أَحَبَّ أن يشاهد ذلك عيانًا فيترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ـ كما ذكرنا ـ فأجابه الله تعالى إلى سؤاله وأعطاه غاية ما يريد[1].

## معجزة ثالثة

كان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد أَسَنَّ وبلغ به العمر عتيًّـا، وكانت زوجته سَارَّةُ عاقرًا لا تلد، فجاءته البشارة من الملائكة عندما مروا به ذاهبين إلى مدائن قوم لُوط لإنزال عذاب الله تعالى بهم لكفرهم وجحودهم قال الله عز وجل: ﴿ **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾[2].

ويقول الله ـ عز وجل ـ كذلك: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)**

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (١/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) الصافات: ١١٢، ١١٣.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ فى كتابه البداية والنهاية: إن الملائكة كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، لما وردوا على الخليل حسبهم أضيافًا، فعاملهم معاملة الضيوف، وشَوَى لهم عجلاً سمينًا من خيار بقره، فلما قَرَّبَهُ إليهم وعَرَضَهُ عليهم لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية، وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام، فَنَكِرَهُم إبراهيمُ وَأَوْجَس منهم خِيفَةً، قالوا: لا تَخَفْ، إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قوم لوط لإنزال العذاب بهم. فاستبشرت عند ذلك سارة غضبًا لله عليهم، وكانت قائمة على رءوس الأضياف ـ كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم ـ فلما ضَحِكَت استبشارًا بذلك، قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[2]. أى: بَشَّرَتْهَا الملائكة بذلك، فَصَكَّتْ وجهها كما يفعل النساء عند التعجب وقالت: يَا وَيْلَتَى، أألد وأنا عجوزٌ وهذا بَعْلِى شيخًا؟! أى: كيف يلد مثلى وأنا كبيرة وعقيم أيضًا، وهذا بعلى ـ أى: زوجى ـ شيخًا؟! تعجبت من وجود وَلَدٍ والحالة هذه، ولهذا

(١) الذَّاريات: ٢٤ ـ ٣٠.

(٢) هود: ٧١.

قالت: إن هذا لشئ عجيب! قالوا: أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيد** ﴾[1].

وكذلك تعجب إبراهيم ـ عليه السلام ـ من هذه البشارة، وكان قد رُزِق بإسماعيل من قبل من «هَاجَر» جارية «سارة» التى وَهَبَتْها له، وحينما رُزِقَ به أخذت ضراوة الغيرة «سارة»، فأبَتْ أن تُسَاكِنَ جاريتها، فأخذ إبراهيم «هاجر» وابنها «إسماعيل» إلى واد بمكة غير ذى زرع، ولا ماء، ولا ناس، ثم تركها وابنها وانصرف بأمر من الله تعالى. ودعا إبراهيم ربه قائلاً: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾[2]، فأجاب الله دعوته، فتفجرت عين زمزم، ولم يمض زمن حتى كان وادى مكة المجدب المُقْفِر عامرًا، وتزوج إسماعيل من قبيلة جُرهم ـ إحدى قبائل العرب التى جاورت «هاجَرَ» بوادى مكة ـ ومن نسل إسماعيل جاء سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) هود: ٧٢، ٧٣.

(٢) إبراهيم: ٣٧.